ما معنى شهادة أن محمدا رسول الله وما مقتضياتها وشروطها ونواقضها

كتبه غريب الديار بتاريخ السبت ٢٢ رجب ١٤٤٢

إذا كان معنى شهادة أن محمداً رسول الله مجرد الاعتراف لرسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم بالرسالة, فلماذا شهد الله تعالى على كذب شهادة المنافقين في قوله:

﴿ إِذا جاءَكَ المُنافِقونَ قالوا نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسولُهُ وَاللَّهُ يَشهَدُ إِنَّ المُنافِقينَ لَكاذِبونَ ﴾[1]

هذا ما سوف نعرفه إن شاء الله من خلال المحاور التالية:

- معنى شهادة أن محمدًا رسول الله
- دليل شهادة أن محمداً رسول الله
- ما مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله
- شروط شهادة أن محمد رسول الله
- أهمية شهادة أن محمداً رسول الله
- نواقض شهادة أن محمدًا رسول
- شهادة أهل المذاهب لرسول الله محمد بن عبد الله بالرسالة

معنى شهادة أن محمداً رسول الله

إن معنى شهادة أن محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ليس مجرد الاعتراف له بالرسالة فقط, وإنما هي شهادة لرسول الله محمد بن عبد الله بكل الوظائف التي بعثه الله لها, شهادة تقتضي العمل, فهو:

[1] المنافقون: ١

١- الرسول من عند إله العالمين للناس كافة إنسا وجنا، لا نبي أتانا من عند الله سواه.

٢- وهو إمام المتقين في الدنيا، الذين يتأسون به في كل شيء وتبعونه ويقتدون به كما قال إله العالمين ومليكهم:

﴿ لَقَد كانَ لَكُم في رَسولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرجُو اللَّهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثيرًا ﴾[2]

٣- وهم الذين يدعون به، يوم يدعى كل أناس بإمامهم كما أخبر ربنا تعالى

﴿ يَومَ نَدعو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِم فَمَن أوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ فَأُولئِكَ يَقرَءونَ كِتابَهُم وَلا يُظلَمونَ فَتيلًا ﴾[3]

وهو الحجة الوحيدة المقبولة عند الله، فيوم القيامة لا حجة في أحد غيره، قال الله تعالى:

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ لِئَلّا يَكونَ لِلنّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللَّهُ عَزيزًا حَكيمًا ﴾[4]

فمن احتج بغير محمد رسول الله، حجته باطلة عند الله، وقد أخَلَّ بشرط من شروط الإيمان، كما فصلنا في مقال مستقل.

أي أن معنى شهادة أن محمدا مبعوثا من عند إله الناس عليه أفضل الصلاة والتسليم، إذاً هو الإقرار بكون محمد بن عبد الله رسولٌ وإمامٌ من عند ربنا تعالى لا سبيل لمعرفة أوامر ربنا إلا من خلاله حصريا، ولا حجة لأحد في غيره.

فهو الوحيد الذي أرسل إلينا من عند رب العالمين، وهو القدوة والإمام الذي ارتضاه الله تعالى لنا.

ثم اتباع محمد بن عبد الله اتباعا حصريا أيضا، وهذا هو معنى شهادة أن محمد رسول الله الذي لم يأت به المنافقون

فالمنافقون يقر بعضهم بأن محمدا رسول الله، ولكنهم لا يتبعونه، لذلك شهد الله على كذبهم في شهادتهم.

دليل شهادة أن محمداً رسول الله

[2] الأحزاب: ٢١
[3] الإسراء: ٧١
[4] النساء: ١٦٥

في القرآن يمتن ربنا وإلهنا كثيرا على عباده المؤمنين، بأن أرسل إليهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإليك بعض تلك الآيات:

﴿ لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾[5]

﴿ الَّذينَ يَتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدونَهُ مَكتوبًا عِندَهُم فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعروفِ وَيَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلالَ الَّتي كانَت عَلَيهِم فَالَّذينَ آمَنوا بِهِ وَعَزَّروهُ وَنَصَروهُ وَاتَّبَعُوا النّورَ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ ﴾[6]

﴿ لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ ﴾[7]

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على فضل محمد رسول رب العالمين الذي لا إله إلا هو، وعلى فلاح من اتبعه ورضي به، وخسران من أعرض عنه والعياذ بالله.

مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله

إن مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، قد ناقشه القرآن بإسهاب فهو جزء من الركن الأول من أركان الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وقد سبق وتطرقنا له من زاوية أخرى حين تحدثنا عن الإمامة في الإسلام، واليوم سوف نناقشه من خلال آية فأقول مستعينا برب العالمين الذي لا إله إلا هو:

بين ربنا سبحانه وتعالى مقتضى الشهادة بكون محمد رسول الله، الذي من عمل به أحبه سبحانه، ومن تولى عنه كان كافرا في قوله:

﴿ قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ ﴾[8]

---

[5] آل عمران: ١٦٤
[6] الأعراف: ١٥٧
[7] التوبة: ١٢٨
[8] آل عمران: ٣١

فبين أن حبه سبحانه وتعالى مشروط باتباع رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم, فمن أراد حب الله عليه أن يتبع محمدا نبي الله, ورغب في ذلك بالمغفرة والرحمة, ثم بيّن كيف يكون اتباع محمد رسول الله في قوله:

﴿ قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ ﴾[9]

أي أن اتباع محمد رسول الله وخليله, ليس مجرد دعوى, وإنما يتمثل في طاعة الله ورسوله, طاعة حصرية, وإلا فالمرء كافر كما بين في آخر الآية.

أي أن شهادة أن محمدا رسول الله عليه الصلاة والسلام, تقتضي اتباعه, أي طاعته, وإلا فهي شهادة كاذبة, لا تنقل صاحبها من الكفر كما بينت الآية السابقة.

لكي نستطيع طاعة محمد رسول الله يجب أن يبلغنا أمره, فلا طاعة من غير أمر, ومن ثم فإن الذين يدعون اتباع محمد رسول الله دون أن يصلهم أمره بصورة من الصور, كأن يجدوا الحديث الذي فيه أمره, أو يُخبروا بأنه أمر بكذا, فهؤلاء كاذبون في دعواهم طاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هم مقلدين لشيوخهم الذين يفتونهم بغير وحي الله عز وجل قرآنا وسنة.

هذا المعنى متوافق مع معنى الإسلام الذي عرفنا سابقا, حيث أن المسلم هو من أسلم نفسه لرب العالمين عز وجل, وهذا عمليا بحيث لا يكون له آمر يطيعه غير الله, والله لم يرسل إلينا غير محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فكل أمر لم يأت به محمد رسول إله الناس, ليس من أمر الله, ومن ثم فإن مطيعه مشرك بالله وإن ادعى الإيمان والتوحيد, لأنه أطاع غير الله تعالى.

ومن ثم فإن شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله تقتضي تصديقه بما جاء به, وطاعته فيما أمر به, واتباع ما شرع, واجتناب ما نهى عنه وزجر, وكل ذلك بشكل حصري

شروط شهادة أن محمدا رسول الله

قد يعتقد البعض أنه يكفي أن تشهد أن محمدا رسول الله ولو تقليدا, دون أن تكون شهادتك مبنية على أدلة جازمة أن محمدا فعلا رسول رب الناس.

---

[9] آل عمران: ٣٢

إذا كنت من أولئك فأنت مخطئ, بحسب حديث أسماء الذي يشترط في صحة شهادة أن محمدا رسول الله أن تكون شهادة معتمدة على أدلة قاطعة تثبت أن محمدا رسول الله, بحيث إذا سألك أحد ما عن أدلة صدق محمد في كونه رسول من عند إله الناس, تكون لديك أجوبة صريحة, وإليك نص الحديث:

ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل، أو قريبا من فتنة الدجال ، لا أدري أيتهما قالت أسماء ، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، أو الموقن ، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ، فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحا، قد علمنا إن كنت لمؤمنا، وأما المنافق، أو المرتاب ، لا أدري أيتهما قالت أسماء ، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته[10]

إذا تأملت هذا الحديث, تجد أن شهادة المؤمن لمحمد بالرسالة, شهادة مبنية على البينات والهدى, فهو لم يكتف بقول محمد بن عبد الله, وإنما وصف رسالته بكونها بينات وهدى كما يجدها, ثم بيّن تصديقه له, واتباعه صلى الله عليه وسلم, مما يعني أن المؤمن لا يكون مؤمنا إلا حين يعرف صدق رسالة رسول الله ويجدها بينة وهدى ويتبعها, فتلك هي شهادة أن محمدا رسول الله الشهادة المرضية

بينما غير المؤمن هو الذي يقلد الناس في شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله وسلم, فهو لا يمتلك قناعة, ولا تعنيه أصلا الرسالة التي أتى بها محمد رسول إله العالمين, ومن ثم فإنه فارغ لا يستطيع تقديم أي إجابة.

إن وصف رسول الله لهذه الفتنة بكونها مثل فتنة المسيح الدجال التي لا يكاد ينجو أحد منها, هو وصف دقيق جدا, فهذه الفتنة من الصعب جدا تجاوزها نظرا لصعوبة تحقيق هذا الجواب على كثير من الناس, فأغلب الناس لا تجد نفسها مسؤولة عن وحي الله سبحانه فهو خاص بالعلماء والمفسرين ومن ثم فإن إدراك خصائصه أمر مستبعد جدا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا شرط صحة شهادة أن محمدا رسول الله هي أن تكون مبنية على أدلة قاطعة, وإلا لما كانت منجية لصاحبها.

[10] الحديث وتخريجه ورواته هنا

وطبعا حتى تكون شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله شهادة مرضية عند الله يجب أن تتحقق مقتضياتها التي سبق وذكرنا وإلا فهي شهادة كاذبة وغير صحيحة مثلها مثل شهادة المنافقين

أهمية شهادة أن محمدا رسول الله

يغلب على الناس الحديث عن شهادة أن لا إله إلا لله, لدرجة أنه من النادر الحديث عن شهادة أن محمد رسول الله, حتى صار أغلب الناس يتصور أن شهادة أن محمداً رسول الله مجرد الاعتراف له صلى الله عليه وسلم بالرسالة, وهذا خطأ كما بيّنا.

إن شهادة أن محمدا رسول الله هي الشق الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام, ومن لم يأت بها على الوجه المطلوب لم يدخل الإسلام أصلا.

فمن يعترف بأن محمدا رسول الله, ولكنه لا يجعله إمامه ولا يقتدي به كما يفعل أتباع المذاهب والفرق, لم يدخل الإسلام أصلا, لأنه لم يأت بالشهادة على وجهها, وهو والمنافقون الذين شهد الله على كذبهم في شهادتهم أن محمدا رسول الله سواء, فكلاهما لا يقتدي برسول الله .

إن شهادة أن محمدا رسول على وجهها المطلوب شرط لابد منه لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله, ولذلك نجد ربنا ركز عليها في القرآن, تركيزه على شهادة أن لا إله إلا هو, من ذلك قوله سبحانه:

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسولَ فَقَد أَطاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلّى فَما أَرسَلناكَ عَلَيهِم حَفيظًا ﴾[11]

وقوله في مصير من لم يتبع رسول الله يوم القيامة:

﴿ وَيَومَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيهِ يَقولُ يا لَيتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلًا ﴾[12]

نواقض شهادة أن محمدا رسول الله

إن عدم اتباع رسول الله حصرا وجعله إماما ينقض شهادة أن محمدا رسول الله, وهذا الناقض يقع فيه كثير من الناس اليوم

[11] النساء: ٨٠
[12] الفرقان: ٢٧

لتتضح هذه الصورة أكثر, نضرب مثالا واقعيا لشخص أتى مفتيا وسأله عن حكم مسألته, دون أن يلزمه بأن يفتيه بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم, وإنما قال له ما حكم كذا ؟ كما يفعل عامة الناس.

هذا المفتي قد يفتيه بحكم الله سبحانه وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم – وهذا نادر جدا – وقد يفتيه برأيه أو رأي غيره كما هو شائع, وفي كلتا الحالتين هذا المستفتي لا يدعي اتباع محمد صلى الله عليه وسلم, وإنما اتباع مفتيه الذي أفتاه, حيث أن هذا الأخير لم يقل له هذا حكم الله, أو حكم رسوله.

هذا المستفتي لم يعد يجزم بأنه مسلم لله وحده, حيث أن مصدر الأوامر عنده ليس الله وحده, بل الله وهذا المفتي, ومن هنا يبدأ الشرك بالله واتباع الظن, والضلال كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا، ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما، اتخذ الناس رؤسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[13]

فمن أفتى بغير علم – والعلم وحي الله فقط – فهو ضال ومضل لمتبعه, ويوم القيامة سيندم هذا الأخير على اتباعه كما أخبر ربنا في قوله:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دونِ اللَّهِ أَندادًا يُحِبّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذينَ آمَنوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَو يَرَى الَّذينَ ظَلَموا إِذ يَرَونَ العَذابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَميعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَديدُ العَذابِ ﴾[14]

شهادة أهل المذاهب لرسول الله بالرسالة

إن الناظر إلى أهل المذاهب يرى بلسان حالهم, ولسان مقال مقلديهم, أنه لا فرق لديهم بين الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة, وبين جميع رسل الله صلى الله عليه وسلم, فهم لا يتبعون لا رسول الله, ولا الرسل الذين قبله.

---

[13] الحديث وتخريجه ورواته هنا
[14] البقرة: ١٦٥

وإنما يتبعون إمام مذهبهم الذي يتعصبون له, فهم يقرون أن محمدا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ويشهدون بذلك, ولكنهم في الوقت نفسه يقرون بلسان حالهم أنهم لا يتبعون رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

فشهادتهم إذاً شهادة كاذبة, لا تختلف عن شهادة المنافقين الذين شهد اللّه أنهم كاذبون في شهادتهم, لأنهم لا يتبعون نبي اللّه.

إن الناظر لحال المنافقين في عهد رسول اللّه الذين كذب اللّه شهادتهم, يجدهم أحسن حالا بكثير من متبعي المذاهب, فأولئك لم يكونوا يجرؤون على التصريح بعدم اتباع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

بينما متبعي المذاهب لا يجدون أدنى حرج في التصريح باتباع أئمتهم الذين نصبوهم دون إذن من اللّه سبحانه, من دون رسول اللّه والعياذ بالله.

إنك إذا سألتهم عن سبب رغبتهم عن اتباع رسول اللّه, ستجد كل أجوبتهم تصب في معنى واحد, وهو أنهم يتبعون أئمتهم لكونهم بينوا لهم الدين, وكأن رسول اللّه ترك الدين مشكلا غامضا, وكأن الوحي طلاسم ورموز يصعب فكها, وليس نور وكتاب مبين كما أخبر رب العالمين.

إن حقيقة هؤلاء التي يعبرون عنها بطرق مختلفة, هي تجسيد لكفر الإعراض والتولي عن اتباع رسول اللّه, التي أخبر اللّه عنها في قوله:

﴿ قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ ﴾[15]

قدوتهم في ذلك إبليس الذي أعرض واستكبر عن طاعة أمر اللّه بالسجود لآدم بحجة أنه خير منه, فهم أيضا استكبروا عن طاعة رسول اللّه واتباعه بحجة أن غيره بزعمهم بيَّن الدين وفصله أكثر منه صلى اللّه عليه وسلم, وهي حجة كاذبة تماما كحجة قدوتهم إبليس, والعياذ بالله مما أصابهم.

لذلك شهادة أهل المذاهب لمحمد بالرسالة هي شهادة كاذبة, وأهلها لم يدخلوا الإسلام أصلا لعدم إتيانهم بالركن الأول من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا اللّه و شهادة أن محمداً رسول اللّه.

[15] آل عمران: ٣٢